

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ

يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾

[الإنسان: ١]

### من الدلالات العلمية للآية الكريمة

أثبتت دراسات علوم الأرض والفضاء أننا نحيا فى كون يقدر عمره بأكثر من عشرة آلاف مليون سنة، وعلى أرض يقدر عمرها بأكثر من أربعة آلاف وستمئة مليون سنة، وأن أقدم أثر للحياة على الأرض يعود إلى ثلاثة آلاف وثمانمائة مليون سنة مضت، وقد وجد هذا الأثر على هيئة جزيئات لمركبات عضوية متأحفة تشبه العديد من الخلايا الحية المعاصرة، وقد اكتشفت هذه البقايا فى صخور جزيرة جرينلاند فى سنة ١٩٧٨ م بواسطة « سيرل بونامبروما – Cyril Ponnampuruma » الأستاذ بجامعة ميريلاند الأمريكية.

وقد أدى هذا الكشف إلى اعتبار الفترة من ٤,٦ بلايين سنة مضت إلى ٣,٨ بلايين سنة مضت وقدرها ٨٠٠ مليون سنة فترة إعداد الأرض لاستقبال الحياة، ويطلق عليها اسم زمان أو « أبد انعدام الحياة – The Azoic Eon ».

وتلا ذلك اكتشاف أحافير لكائنات وحيدة الخلية تشبه البكتيريا فى صخور يرجع عمرها إلى نحو ثلاثة بلايين ونصف البليون سنة فى جنوب غربى أستراليا. وبالمثل تم اكتشاف عدد من الأحافير لكائنات وحيدة الخلية شبيهة بالطحالب والبكتيريا المعاصرة، وذلك فى تتابع من الصخور الرسوبية غير المتحولة يعرف باسم « متكون شجرة التين – The Fig Tree Formation » وذلك فى جنب أفريقيا، ثم تم اكتشاف

بقايا لـ «الطحالب الخضراء المزرقة - Blue green - Algae» فى «روديسيا» فى صخور جيرية يرجع عمرها إلى ٢,٧ بليون سنة، وتم اكتشاف بقايا مشابهة فى منطقة «أنتاريو - كندا» فى صخور يرجع عمرها إلى ١,٩ بليون سنة. وبالمثل تم اكتشاف العديد من أحافير الطحالب والبكتيريا والفطريات فى صخور من الصوان الكربونى فى وسط أستراليا قدر عمرها بألف مليون سنة مضت.

وهذه الكائنات تصنف تحت أمة واحدة تعرف باسم «أمة أوليات الأنوية - Domain Prokaryota»، وتحت مملكة واحدة هى «مملكة البدائيات - Kingdom Monera»، وتشمل البكتيريا والطحالب الخضراء المزرقة، وأفرادها بسيطة التركيب، ويتكون الفرد منها من خلية واحدة، أو من عدد من الخلايا، ولكن هذه الخلايا لا تتمايز إلى أنسجة، ولا إلى أعضاء، مهما تعددت الخلايا، ولكنها قد تتفرع إلى عدة أفرع. وهذه الكائنات ليست لها نواة محددة، ولكن تنتشر محتويات النواة فى سائل الخلية دون أن تتركز على هيئة الصبغيات.

ووجدت بقايا أول «خلية ذات نواة محددة - Domain Eukaryotes» فى صخور يرجع عمرها إلى نحو ١,٤ بليون سنة فى شرقى ولاية كاليفورنيا الأمريكية، والكائنات وحيدة الخلية، وذات النوى المحددة المحاطة بغشاء نووى يفصلها عن سائل الخلية (السيتوبلازم) تصنف فى عدد من الممالك الخاصة، منها «مملكة الطلائعيات - Kingdom Protista»، وتضم العديد من الكائنات البسيطة مثل السوطيات، والطحالب، والجرثوميات أو «البوغيات - Sporozoa»، و«الهديات - Ciliata» وغيرها. ومنها «مملكة الفطريات - kingdom Fungi».

أما «مملكة الحيوانات - Kingdom Animalia» - والتى تضم أكثر من عشرين قبيلة - فقد وجدت أولى بقاياها فى صخور يقدر عمرها المطلق بنحو ٧٠٠ مليون سنة مضت. وبناء على ذلك تعتبر الفترة من ٣,٨ بلايين سنة مضت إلى ٧٠٠ مليون سنة مضت زمانا خاصا يعرف باسم زمان أو «أبد الحياة المستترة - The Cryprozoic Eon»، وقد دام لأكثر من ثلاثة بلايين سنة (٣,١ بلايين سنة)، واعتبرت الفترة من ٧٠٠ مليون سنة إلى اليوم زمانا آخر يعرف باسم زمان أو «أبد الحياة الظاهرة - The Phanerozoic Eon».

ازداد فيه تنوع وأعداد مختلف صور الحياة النباتية والحيوانية بالتدريج حتى وصلت إلى صورتها الحالية، فتعددت صور النباتات من الطحالب، إلى الحزازيات، إلى ذيل الحصانيات، إلى السراخس، ثم النخيليات، والمخروطيات (الصنوبريات)، إلى النباتات المزهرة. وقد خلقت أول النباتات الأرضية منذ نحو ٤٠٠ مليون سنة فى مطلع العصر السيلورى، وبقيت الحياة فى المياه لأغلب تاريخ الأرض.

وتنوعت مجموعات الحياة الحيوانية غير الفقارية لتشمل أكثر من عشرين قبيلة متميزة، وخلقت طلائع الأسماك، ثم البرمائيات، ثم الزواحف، ثم الطيور، ثم الحيوانات اللبونة (ذات الأثداء أو الثدييات) وتنوع خلقها تنوعاً مذهلاً حتى خلقت «الثدييات المشيمية — Placental Mammals» وكان منها آكلات الحشرات، والخفاشيات، والحافريات (ذوات الخوافر) ومنها الخيول، والغزلان، والماشية، وغيرها، و«المفترسات — Carnivora»، و«القوارض — Rodentia»، والخرطوميات من مثل الفيلة، والحيتان والدلافين، والرئيسيات ومنها القردة (القروود العادية، والشمبانزى والغوريلا، وغيرها)، بينما لا يتعدى أقدم أثر للإنسان على الأرض مائة ألف سنة.

من هذا الاستعراض تتضح ومضة الإعجاز العلمى فى قول ربنا (تبارك وتعالى): ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فقد أثبتت العلوم المكتسبة أن عمر الإنسان على الأرض لا يتعدى واحداً من خمسين ألفاً من عمرها، وأن خلق الأحياء الأخرى قد سبق خلق الإنسان بقرابة الأربعة ملايين من السنين، وإذا قارنا هذه الحقيقة القرآنية التى أنزلت من قبل ألف وأربعمائة سنة بما ذكره القس الإنجليى الأيرلندى «جيمس أشر — James Ussher» «كبير أساقفة أرماغ — Archbishop of Armagh»، والذى عاش فى الفترة (من ١٥٨١ إلى ١٦٥٦ م) والذى أعلن فى سنة ١٦٢٥ م أن الأرض قد خلقت فى تمام الساعة العاشرة من صباح الثالث والعشرين من أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد بناء على تحليله لتتابع الأحداث فى العهدين القديم والجديد، أدركنا فضل القرآن الكريم على غيره، خاصة أن هذا التاريخ قد ظل مثبتاً حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، أى لقرابة الثلاثمائة سنة، وهى صورة من الخطأ البشرى الذى صححه العلم مؤخراً.